العسل في الطقوس الدينية

بلسم باسط محمد عبد
أ.د. جمعة حريز الطلبي
جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار

العسل في الطقوس الدينية

بلسم باسط محمد عبد
أ.د. جمعة حريز الطلبي

الملخص :

إن العوامل الطبيعية التي عاشها إنسان بلاد الرافدين من تقلبات الطقس وعدم الاستقرار في بدء حياته في منطقة محددة، خلقت لديه حالة من الخوف الذي ولد عنده حالة من التفكير العقلي لما يحيط به، الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع من المعتقدات الدينية وما توصل اليه نتيجة تخوفه من الحوادث الطبيعية مجهولة المصدر اليه لذا أخذ بممارسة الطقوس الدينية اليومية من صلاة وادعية وتراتيل وتقديم النذور والقرابين واحتفالات دينية لاعتقاده بقدرته على كسب رضا هذه القوى من ممارسته للطقوس الدينية.

لقد دأب ملوك بلاد الرافدين على الأعمال الدينية التي أرادو عن طريقها إرضاء آلهتهم، فبنوا لها المعابد الفخمة وزودوها بالمؤن التي تحتاجها. وقد مارسوا مختلف أنواع الطقوس الدينية التي تنم عن ديانتهم ورغبتهم في المثول أمام آلهتهم بالشكل الذي يليق بهم بوصفهم ملوكاً، وقد أوردت لنا النصوص المسمارية العديد من هذه الممارسات الدينية. وذكر العسل في عدد من الاشارات النصية عن هذه الممارسات.

كلمات مفتاحية : العسل ، الطقوس الدينية ،ترميم المعابد ،طقوس التزييت .

Abstract:

The natural factors experienced by a person in Mesopotamia, such as weather fluctuations and instability at the beginning of his life in a specific area, created in him a state of fear that generated a state of mental thinking about what surrounds him, which led to the emergence of a kind of religious beliefs and what he reached as a result of his fear. Of the natural accidents of unknown origin to him, so he took to practicing daily religious rituals, such as prayers, supplications, hymns, making vows, offerings, and religious ceremonies, because he believed in his ability to gain the satisfaction of these powers through his religious rituals.

The kings of Mesopotamia persevered in the religious works through which they wanted to please their gods, so they built luxurious temples for them and provided them with the supplies they needed. They practiced various types of religious rituals that reflect their religion and their desire to appear before their gods in a manner that befits them as kings. Cuneiform texts have mentioned many of these religious practices. Honey is mentioned in a number of textual references to these practices.

Keywords: honey, religious rituals, temple restoration, oiling rituals.

مقدمة البحث

فقد اهتم الملوك في بلاد الرافدين بعملية بناء وتعمير المعابد وترميها، وغالباً ما تقترن هذه العمليات بأداء شعائر وطقوس دينية معقدة جداً من أجل التأكيد أن رغبات الآلهة قد فهمت ونفذت بصورة صحيحة. (ساكز ، ١٩٧٩، ص ٤١٨). وكانت هذه الطقوس تشمل إزالة أنقاض جدران المعبد القديم يرافقها مراسيم هي مزيج من الفرح والحزن، مع تقديم الأضاحي والقرابين لإله أو إلهة المعبد، ثم تبدأ عملية تطهير الأسس طقوسياً من أجل استقرار البناء، والجزء الأساس من هذه العملية الطقوسية هو نقل اللبنة من المعبد القديم الى أساس المعبد الجديد. (محمد ، ٢٠٠٣،ص١٠)

وغالباً ما تجرى عملية تزيين وتطهير المعابد على أساس أنها أقدس الأماكن، وهي بيوت الآلهة، لذا تجرى لها بشكل مستمر عمليات إدامة وتنظيف وتزيين وتطهير في طقوس

وممارسات عادة ما تجرى بإشراف الملك أو من يمثله من الكهنة. ويتجسد هذا التطهير في أشكال عديدة، بعض منها يتعلق بأجزاء المعبد، لا سيما الأبواب وأقفالها، التي عادة ما تطهر وتغسل، فضلاً عن مسحها بالزيت والعسل، كما أشار الى ذلك أحد نصوص على حجر من نوع الكودرو*من العصر البابلي الوسيط(١٥٩٥_ ١٠٦٢ ق.م):(.. هو جعل أقفال معبد الايبابار تقطر عسلاً ونبيذاً وطحين[مبخر . ..)[(King,1912,p.36)

وقد أشارت كتابات الملوك القدماء إلى أنهم كانوا حينما يبنون أو يرممون المعابد كانوا يعملون على مزج مواد معينة من المواد الرابطة المستعملة في البناء، وتتكون هذه المواد من العسل والزيت الجيد والجعة. ويشير أحد نصوص حاكم مدينة لگش السومري كوديا(٢١٤١– ٢١٢٢ ق.م) في هذا السياق إلى عملية دهن قالب البناء بالعسل وبأحسن أنواع الزيت:(وبحسب الماء الذي يجلب الحظ في إطار القالب، وحينما كان يفعل ذلك كانت الطبول تدق، ودهن (القالب) بالعسل، وبأحسن وأجود أنواع الزيت).(ساكز، ١٩٧٩،ص٤٢١)

وعمل الملك الآشوري ايرشوم الأول (١٩٤١–١٩٠٢ق.م) الإجراء نفسه، فقد وضع العسل والزيت في آجر البناء، على وفق ما جاء في أحد نصوصه، الذي يذكر فيه الآتي:(... في جميع أعمال الآجر(للمعبد) مزجت السمن "الزيت!!" والعسل "معه")، وهو ما يدخل ضمن طقوس التكريس، وهي طقوس تتعلق بتكريس تقدمات ونذور ومواد عند بناء معابد الآلهة(CAD,D,p.162).

ويستعمل العسل في مواضع أخرى في أعمال المباني الدينية، فقد أشارت النصوص الكتابية أنه يمكن تقطير العسل من المسامير المستعملة في عمليات البناء وربط الأعمدة الخشبية، وهو يشير إلى أهمية العسل كمادة رابطة. فقد ورد في أحد النصوص المسمارية العائدة الى العصر الكاشي إلى تقطير العسل من هذه المسامير، وكذلك تقطير النبيذ ونوع من أنواع الطحين المسمى الماسخاتو...) :(mashatu) هو عمل مسامير المعبد وهي تقطر بالعسل والنبيذ وطحين المخاتو ("mashatu ") (CAD,K,p.204) وربما يرتبط مثل هذا الاستعمال بمعتقدات دينية بحتة، وإن كان للعسل له فوائد في عملية ردع الصدأ من المسامير كما أشرنا أعلاه .

ودخل العسل في ملاط جدران المعابد، إذ نعرف عن طريق الكتابات الملكية كيف أهتم الملوك والحكام بأعمال بناء وتجديد وترميم معابد الآلهة، فيذكر الحاكم الآشوري ايرشوم الأول اهتمامه ببناء وإعادة اعمار المعابد، وقد كانت مادة العسل من المواد التي استعملت في ملاط الجدران، فقد جاء في إحدى كتاباته: (ملاط الجدران مزجته بالعسل والزبد ووضعت الساف الأول من اللبن). ويفتخر الملك شمشي- أدد الأول في أحد القابه بأنه باني معبد آشور، فيذكر في أحد نصوصه ما يأتي: (زينت أسفل جدرانه بنجوم من ذهب وفضة واقمت جدرانه على أحجار كريمة وألواح من ذهب وفضة مزجت ملاطه بالعسل الممتاز والزبد وراتنج أشجار الأرز (المادة الصمغية أو ما يعرف بدم الأشجار) . (أثير، ٢٠١٢،ص٤٨٧)

وقد دخل العسل من ضمن المواد المطلوبة في طقوس التزييت*، التي يأتي في مقدمتها الزيت الجيد، والعسل، والتوابل المعطرة، ونبات المر، والعنب، وتعد كل هذه المواد مجتمعة مواد للمراسيم وعملية سكب العسل عند وضع الحجر الأساس والبناء لإعادة بناء المعابد، فقد ذكر أحد النصوص الكتابية:(ليعمل كاهن الكالو سكائب من الخمور بينما يسكبون على الطابوقة عسلاً وزبداً ودهيناً وحليباً وجعة من النوع الممتاز وخمراً وزيتاً ناعماً(لذيذاً)، ثم يتلو الكاهن أمام الطابوقة" حينما خلق آنو السماء"). وعند قيام الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨_ ٨٣٤ ق.م) ببناء أسوار مدينة آشور وتجديدها رافقه مراسيم طقوسية واحتفالية استعمل العسل بمزج الطابوقة الأولى على وفق ما جاء في النص الذي وثق الحدث: (مزجت قالب البناء المستخدم في بناء المعبد بالزيت المعطر والعسل وزيت السرو والخمر) (شيت، ٢٠١٢،ص٩٦)

وعمد ملوك وحكام بلاد الرافدين إلى خلط العسل ومواد أخرى في آجر البناء، اذ قاموا بوضع العسل والنبيذ والبيرة والزيت المعطر وراتنج شجرة السيدار بالطين المخمر الذي يعمل منه الآجر، ولعل ذلك يعكس معتقدات دينية بحتة تؤشر أهمية العسل والنبيذ والزيت في حضارة بلاد الرافدين، والدور المهم الذي تشكله هذه المواد في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية إلى حد سواء مثل ما أشار إلى ذلك النص المسماري العائد أيضاً إلى الملك

شيلمنصر الثالث(... إذا خلطت طين آجرة بالعسل والزيت المعطر وراتنج شجرة السيدار والبيرة والنبيذ ...)(CAD,K,p.204)

وتشير بعض الكتابات إلى دور العسل فيما يتعلق في عمليات البناء، ويكون ذلك عن طريق خلط دهان أو(جص) البناء مع أشياء عدة ومنها العسل والزيت والبيرة والسمن، ولا يعرف على وجه الدقة هل أن هذا المواد لها فوائد بنائية مادية أم أن ذلك يمثل أحد الطقوس الدينية، ويرجح الرأي الثاني اعتماداً على نصوص أخرى مماثلة، فضلاً عن أن هذا المواد: (العسل، الزيت، الجعة) عادة ما كانت تستعمل للطقوس الدينية، وقد أشار إلى ذلك نص مسماري من العصر الآشوري الحديث بالصيغة الآتية: (...أنا خلطت المونة [لجدار البناية الجديدة] زيتاً جيداً وعسلاً وسمناً وبيرة جيدة...)(Messerch, 1911,p.127) ونقرأ في إشارة أخرى مماثلة ما يأتي: (... وأنا سيعت كل جدرانه بالعسل والسمن..) .(CAD,H,p.190:a)

ويستعمل العسل في بلاط الأبنية، وعادة ما يكلف البناة من الحكام والملوك بوضع أشياء عدة أخرى معه مثل: الخرز المعمول من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، فقد عمد على سبيل المثال الملك الآشوري أسرحدون(٦٨١- ٦٦٩ ق.م) إلى وضع مثل هذه المودعات في أسس المعابد، مثل ما أورد ذلك أحد النصوص المسمارية العائد الى هذا الملك: (...أنا وضعت آجر المعبد على خرز من الذهب والفضة والعطور والعسل والنبيذ وبيرة الكرونو...)(Borger,196748) وكان قد فعل هذا قبله الملك الآشوري اريشوم، حينما سكب العسل والسمن على أسس أبنية الجدران، على وفق ما جاء في إحدى كتاباته: (... في كل جدران سكبت السمن والعسل...). (Ebeling,1926,7:26)

وتعد عملية السكب واحدة من أهم الطقوس التي مارسها سكان بلاد الرافدين، لا سيما ما يتعلق بسكب السوائل، التي عادة ما تشكل أهمية خاصة في فكرهم ومعتقداتهم، وواحد من أهم هذه السوائل المستعملة في السكب هو الماء الطاهر أو النقي- ويبدو على وفق ما جاء في النصوص المسمارية أن هناك سوائل أخرى استعملت في عملية السكب والإراقة ومنها العسل والبيرة، وقد أشار إلى ذلك أحد النصوص المسمارية: (٠٠٠ هو سكب العسل والنبيذ وبيرة ulu sinnu]) ([ ) (Otto,1920,33:23)

ومن الطقوس الدينية المتنوعة التي استعمل سكان بلاد الرافدين العسل فيها هي القيام بحفر حفرة معينة وسكب العسل والزيت فيها، ويبدو أن هذه الطقوس ترتبط بنحو وآخر بالطقوس الجنائزية، على وفق ما أشار إلى ذلك أحد النصوص العائدة إلى العصر الآشوري الحديث: (...هم حفروا حفرة وسكبوا الزيت والعسل فيها ...). (Scurlock,1995p.93)

وشملت الطقوس الدينية وضع مواد مختلفة في الآنية، وفي غالب لا يعرف ماهية هذه المواد على وجه الدقة، وإن أشير إلى أنها تدخل ضمن إطار الطقوس الدينية، ولعل لمثل هذه المواد تأثيرات سحرية تسهم في طرد الشرور والشياطين وتنقية وطهارة للمكان على وفق تفكيرهم ومعتقدهم، مثلما أشار إلى ذلك النص المسماري الآتي: (..أنت تفرغ في الوعاء الزيت العادي، والزيت الجيد، والزيت المعطر، وزيت السيدار والسمن والحليب والعسل والنبيذ والخل...)(Thompson, 1023,P.90) وهناك فصول يستحب تكثيف الطقوس الدينية فيها، لا سيما فصل الربيع، على وفق الإشارة الكتابية الآتية:(...هو يصب الزيت والعسل والنبيذ في فصل الربيع) . (CAD,1/J,p.158:a)

وقد أعتقد سكان بلاد الرافدين بتقديس مادتي السمن والعسل، إذ رأوا أن هاتين المادتين من الهبات التي وهبتها الآلهة لسكان بلاد الرافدين، وفي أحد الطقوس الدينية المعمولة لإرضاء الآلهة يشير إلى عمل صاحب الطقس تمثالين معمولان من خشب شجرة الطرفاء، الشجرة المقدسة عند سكان بلاد الرافدين، وهذان التمثالان يبدوان بهيئة ركوع وعجلان في يديهما السمن والعسل– وإن هذا الطقس الذي يرتبط به بالعسل وارتباطه الروحي بحياتهم اليومية وهو من الهبات التي أغدقتها الهتهم عليهم، وقد أشار أحد النصوص المسمارية الذي يعود في زمنه الى العصر البابلي الحديث إلى الآتي :(٠٠٠٠ تمن تصنع تمثالين راكعين من شجرة الطرفاء ويحملان السمن والعسل...).(المعموري ، ٢٠٢١،ص١٤٦)

ودخل العسل في الطقوس الدينية التي يؤديها الكهنة ومنها كاهن الماشماشو ((masmasuالذي يقوم بسحق أعشاب معينة ويخلطها مع مواد مختلفة ومنها العسل، ويقوم بدهن نفسه بها، ويبدو أن التدهين كان من الطقوس المهمة والشائعة الاستعمال عند كهنة سكان بلاد الرافدين، وما زال يستعمل حتى وقتنا الحاضر، وقد أشار أحد النصوص

إلى استعمال كاهن الماشماشو ذلك الطقس الديني:(... كاهن الماشماشو سحق نبتة النيكيبتو (nikiptu)الذكر والأنثى منها ومزجها مع العسل والزيت والسمن ودهن نفسه [بالمزيج).(Heinrich,1901,p.26)

وهناك إشارة إلى بعض الأواني والأحواض المقدسة، ولعل مثل هذه الآنية والأحواض كانت تستعمل للطقوس الدينية المتعلقة بالغسل والشرب على حد سواء، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى عملية استيراد مواد مختلفة، ومنها أنواع نادرة من الأشجار وكذلك العسل ووضعها في حوض الماء المقدس، ولعل ذلك يشير الى أهمية هذه المواد واستعمالاتها في الطقوس الدينية:(... الأرز الأبيض (الراتينج)، زيت الأرز، زيت السمسم، الزيت البكر، زيت نيكيبتوnikiptu]]، العسل الأبيض، التي سوف تستورد الى هذا البلد (توضع في حوض الماء المقدس...). (Thompson, 1903,p.39)

ودخل العسل ضمن طقس ديني مارسه سكان بلاد الرافدين هو الإحراق– المقلو (maqlu) وهذا الطقس قد مارس من المجتمع القديم بكل شرائحه ومن ضمنهم الملك، ويجرى هذا الطقس بعد أن يعمد إلى حرق العسل والزيت على حد سواء، على وفق ما جاء في النص الآتي: (الملك أحرق العسل والزيت) (CAD,S/2.p.51:a)

وهناك أيضاً طقس عرف باللغة السومرية بالصيغة(SIG4 . TAB . BA) ، وفي اللغة الأكدية(natbaku)، ويختص هذا الطقس بعمليات السكب والاراقة، ولا سيما للسوائل ومنها العسل والبيرة والنبيذ.(CAD,N/2,p.112:b)

ويدخل العسل في الطقوس الدينية ضمن وجبات الطعام التي تقدم للآلهة، وهذه التقدمات كان الإنسان في الرافدين يقتطعها من مؤونته الخاصة تعبيراً عن إيمانه واحترامه للآلهة من دون أن يسأل أين ستؤول هذه التقدمات، المهم هو مقدار الطمأنينة التي يشعر بها عبر أداء هذا العمل كونه فريضة واجبة الأداء فقد ورد في نص يعود بتأريخه إلى العصر البابلي القديم ما يأتي: (...سيلاً عسل لطبق الإله شمس) (CAD,D,P.126:a)

خاتمة البحث

شكلت المعتقدات الدينية جزءاً اساسية في حياة السكان في بلاد الرافدين، لذا مارسوا الكثير من الطقوس الدينية اليومية من صلاة وادعية وتراتيل وتقديم النذور والقرابين واحتفالات دينية لاعتقاده بقدرته على كسب رضا هذه القوى من ممارسته للطقوس الدينية.

وعمل الملوك بصفتهم وكلاء الآلهة وممثليها على الأرض إلى بناء بيوت هذه الآلهة المتمثلة بالمعابد، وقاموا أيضاً بعمليات متكررة لترميمها وصيانتها من أجل المحافظة عليها، واعتقاداً منهم أنه عن طريقها يمكن إرضاء آلهتهم، فبنوا لها المعابد الفخمة وزودوها بالمؤن التي تحتاجها .

وقد مارسوا مختلف أنواع الطقوس الدينية التي تنم عن ديانتهم ورغبتهم في المثول أمام آلهتهم بالشكل الذي يليق بهم بوصفهم ملوكاً، وقد أوردت لنا النصوص المسمارية العديد من هذه الممارسات الدينية. وأشارت إلى أن العسل قد دخل في عدد من هذه الممارسات الطقوسية.

المصادر

اولا: المصادر العربية

١. الراوي ، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر الحديث، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ٢٠٠١.

٢. ساكز، هاري، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٧٩.

٣. محمد ،عثمان غانم ، الكتابات المسمارية على الآجر من الألف الأول قبل الميلاد (٩١١-٥٣٩) ق.م ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣.

٤. الكودرو : هي أحجار غير منتظمة مخروطية الشكل قد تكون من الطين المفخور أو الحجر تقسم الى قسمين الاعلى تكتب عليها رموز الآلهة، اما القسم الثاني دونت عليها اسم الملك وصاحب قطعة الأرض وحدود الأرض ومساحتها استخدمت في تحديد الاراضي وفصلها عن قطع الأراضي الأخرى ومعرفتها. للمزيد ينظر: العبيدي

، خالد حيدر عثمان ، أحجار الحدود البابلية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص٢٣.

٥. أثير ، أحمد حسين ، عمارة المعابد الآشورية وموجوداتها في ضوء النصوص الملكية ، مجلة بابل للعلوم الإنسانية ، مج: ٢٠ ، عدد ٢ ، ٢٠١٢

٦. طقوس التزييت : هي طقوس بمثابة التطهير من الذنوب والآثام وطرد الشر والكاهن يدعى(بشيش(pasisu=، وتعني بالأكدية ماسح بالزيت وعمله هو القيام بواجبات التطهير. للمزيد ينظر :علي، فاضل عبد الواحد ، " المعتقدات الدينية " ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج: ١، ١٩٩١، ص ٣١١.

٧. شيت ، أزهار هاشم ، طقوس التزييت عند الآشوريين ، مجلة بابل للعلوم الإنسانية ، مج: ٢٠، عدد (٢) ، ٢٠١٢ .

٨. المعموري، فاطمة عباس، وفهد ، سعد سلمان ، شجرة الطرفاء في ضوء الكتابات المسمارية ، مجلة آثار الرافدين، المجلد السادس، ج٢ ، ٢٠٢١.

٩. المقلو : طقوس الإحراق لطرد الأرواح الشريرة، فقد كانت النار وسيلة لطرد تأثيرات الشر، فتعاويذ المقلو كانت تهدف بشكل رئيس احباط محاولات كيد العرافيين والسحرة من البشر. لمعلومات أكثر ينظر :هاري ، ساكز ، عظمة بابل، تر: عامر سليمان ، ط٢، ١٩٧٩، ص٣٤٦.

المصادر الانكليزي :

1. King ,L .,w., Babylonian boundary stones and memorial Tablets in the britisch museum, London (1912), NO . 36, iv:33, (=BBST .(
2. Chicago Assyrian Dictionry (CAD , D,K/H/J/S) Chicago,1964
3. Boger , R Die Inschriften Asarha addons Kong von Assyrien Pbublished in (AFO,9) , Germany (1967), 85r. 48. (=Borger Esarh.); CAD , K,P.581:a
4. Ebeling, B, and others, “Die inschriften der Altassyrischen konige”, AOB, VOL. 1, Leipzig, 1926,12 NO . 7:26;CAD,M/1, P.77:a

5. OttO,S. Keilschri FHexte aus Assur verschie denen in halts, Toronto (1920), 33:23 (=KAR); CAD, N/,P.337:a
6. Scurlock, J,A, "MAGIGAL OF THE ANCIENT MESOPOTAMIAN FESTIVALS OF THE DEAD" Religions, in the grace-roman worlad , vol.129, brill, 1995, p.p 93-707;2A,45,44:38f CAD, A/1,P.201:a
7. Thompson, R.C., Assyrian Medical Texts Oxford(1023) , 90,1 ii (=AMT). CAD, ILJ,P.46:a
8. Heinrich, Z, Beitrage zur Kenntnis der babylonischon Religion, Leipzig, 1901, NO .26:ii (=BBR); CAD, D,P . 162 :b.
9. Thompson, R.C., Texts from Babylonian tablets, in the British museum, London , 1903 , 39:43f, (=CT,11); CAD ,E ,P.278:a
10. langdon, S., die neubabylon ischen konigschrift, Leipzig, (1912). 92, ii,32(=VAB,4); CAD , E,P.104,a